فرحة الصائمين

فرحة الصائم عند لقاء ربه فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرا فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾ وقال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ وقال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ وقد تقدم قول ابن عيينة: ان ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء في المظالم بل يدخره الله عنده للصائم حتى يدخله به الجنة وفي المسند [عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس من عمل يوم إلا يختم عليه] وعن عيسى عليه السلام قال: إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة

والصائمون على طبقتين: إحداهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة فهذا قد تاجر مع الله وعامله والله تعالى ﴿لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ ولا يخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إنك لن تدع شيئا اتقاء الله إلا أتاك الله خيرا منه] خرجه الإمام أحمد فهذا الصائم يعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء قال الله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين قال يعقوب بن يوسف الحنفي: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وجفت بطونكم كونوا اليوم في نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينكم: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ وقال الحسن: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمئها حرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي اشهدوا اني قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم] وفي رواية: [فإذا دخلوا أغلق] وفي رواية: [من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا] وفي [حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في منامه الطويل قال: ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه] خرجه الطبراني وغيره وروى ابن أبي الدنيا بإسناد فيه ضعف

[عن أنس مرفوعا: الصائمون ينفح من أفواههم ريح المسك ويوضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون منها والناس في الحساب]

و[عن أنس موقوفا: إن لله مائدة لم تر مثلها عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر لا يقعد عليها إلا الصائمون] وعن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم وقاموا ونمتم. رأى بعضهم بشر بن الحارث في المنام وبين يديه مائدة وهو يأكل ويقال له: كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب. كان بعض الصالحين قد صام حتى انحنى وانقطع صوته فمات فرآه بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله فضحك وأنشد:

قد كسي حلة البهاء وطافت
بالأباريق حوله الخدام
ثم حلي وقيل يا قارئ ارقه
فلعمري لقد براك الصيام

اجتاز بعض الصالحين بمناد ينادي على السحور في رمضان: يا ما خبأنا للصوام

فتنبه بهذه الكلمة وأكثر من الصيام رأى بعض العارفين في منامه كأنه أدخل الجنة فسمع قائلا يقول له: هل تذكر أنك صمت لله يوما قط فقال: نعم قال فأخذتني صوانيء النار من الجنة من ترك لله في الدنيا طعاما وشرابا وشهوة مدة يسيرة عوضه الله عنده طعاما وشرابا لا ينفذ وأزواجا لا يمتن أبدا شهر رمضان فيه يزوج الصائمون في الحديث: [إن الجنة لتزخرف وتنجد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور: يا رب اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجا تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا] وفي حديث آخر [أن الحور ينادين في شهر رمضان: هل من خاطب إلى الله فنزوجه] مهور الحور العين: طول التهجد وهو حاصل في رمضان أكثر من غيره كان بعض الصالحين كثير التهجد والصيام فصلى ليلة في المسجد ودعا فغلبته عيناه فرأى في منامه جماعة علم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة بياض الثلج فوق كل رغيف در كأمثال الرمان فقالوا: كل فقال إني أريد الصوم قالوا له يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل قال: فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله فقالوا له: دعه نغرسه لك شجرا ينبت لك خيرا من هذا قال: أين؟ قالوا: في دار لا تخرب وثمر لا يتغير وملك لا ينقطع وثياب لا تبلى فيها رضوى وعينا وقرة أعين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يغرن ولا يغرن فعليك بالانكماش فيما أنت فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار فما مكث بعد هذه الرؤيا إلا جمعتين حتى توفي فرآه ليلة وفاته في المنام بعض أصحابه الذين حدثهم برؤياه وهو يقول: لا تعجب من شجر غرس لي في يوم حدثتك وقد حمل فقال له: ما حمل؟ قال: لا تسأل لا يقدر أحد على صفته لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع يا قوم ألا خاطب في هذا الشهر إلى الرحمن ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان:

من يرد ملك الجنان
فليدع عنه التواني
وليقم في ظلمة الليل
إلى نور القرآن
وليصل صوما بصوم
إن هذا العيش فاني
إنما العيش جوار الله
في دار الأمان

الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم في الدنيا عما سوى الله فيحفظ الرأس وما حوى ويحفظ البطن وما وعى ويذكر الموت والبلى ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته:

أهل الخصوص من الصوام صومهم
صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الإنس صومهم
صون القلوب عن الأغيار والحجب

العارفون لا يسليهم عن رؤية مولاهم قصر ولا يرويهم دون مشاهدته نهر هممهم أجل من ذلك:

كبرت همة عبد
طمعت في أن تراك
من يصم عن مفطرات
فصيامي عمن سواك

من صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدا في الجنة ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت:

وقد صمت عن لذات دهري كلها
ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

رؤي بشر في المنام فسئل عن حاله؟ فقال: علم قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه وقيل لبعضهم: أين نطلبك في الآخرة؟ قال: في زمرة الناظرين إلى الله قيل له: كيف علمت ذلك؟ قال: بغض طرفي له عن كل محرم وباجتنابي فيه كل منكر ومأثم وقد سألته أن يجعل جنتي النظر إليه: